نوادر التراث

مكفرات الذنوب

وموجبات الجنة

لابن الديبع الشيباني

هذبه وزاد عليه

عبد القادر أحمد عطا

دار الاعتصام

غافر الذنب وقابل التوب

تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم

مكفرات الذنوب

وموجبات الجنة

لابن الديبع الشيباني

هذبه وزاد عليه

عبد القادر أحمد عطا

دار الاعتصام

سيد الاستغفار

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِى وَأَنَا عَبْدُكَ ، وأَنَا عَلَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ . وَأَبُوءُ بِذَنْبِى ، فَاغْفِرْ لِى ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

(أخرجه الترمذى)

تقديم

الرحمة الإلٓهية فياضة لا ينقطع مددها ، ولا يضعف سببها ، فإذا حل بالإنسان ضيق أو حرج فى العيش فإن حاجزًا قد نشأ فى ذات الإنسان حال بين الرحمة الإلٓهية وبين وصولها إلى الإنسان .

والدليل على ذلك أننا نجد فى السنة النبوية من الدعاء ما هو خاص بقضاء الحاجات ، واستدفاع المكروه ، وهو فى الوقت نفسه وارد فى تكفير الذنوب ، مما يؤكد أن صلة قوية بين خلاص الإنسان من الذنوب ، وبين قضاء حاجاته من الله تعالى .

كما أن ربط الثروة والقوة بالاستغفار فى قوله تعالى : (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) خير ما يدل على صحة ما نقول .

وليست كل المحن النازلة بالإنسان ناشئة من الذنوب ويمكن أن نقسم أسباب المحن إلى ثلاثة أقسام :

١ - إذا ضاق صدر المرء بالمحنة ولم يَشْكُ إلى الناس كانت تكفيرًا لذنب اقترفه الإنسان .

٢ - إذا ضاق صدره وشكا إلى الخلق كانت المحنة عقاباً من الله تعالى .

٣ - إذا فرح الإنسان بالمحنة ورأى فيها خيرًا كان ذلك رفعًا لدرجته عند الله ، وهذا مقام الأنبياء وورثتهم من العلماء العاملين الصادعين لأمر الله .

من أجل هذا كانت الحاجة ماسة إلى إرشاد إلهى ونبوى فى أمر الذنوب والخلاص منها حتى يصبح الإنسان مستعدًا لاستقبال الرحمات الإلهية ، وهذا ما دعانا إلى إخراج هذا الكتاب .

وأصل هذا الكتاب مخطوط لابن الدَّيْبَع الشيبانى الزبيدى سماه : (غاية المطلوب والمنة بما يكفر الذنوب ويوجب الجنة) وهو ضمن مجموعة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٦٥١) حديث .

ولكن ابن الديبع أضاف إلى ما انتقاه من أحاديث نبوية فى مكفرات الذنوب وموجبات الجنة قصصًا بعيدًا عن العقل . وأقوالًا لا داعى لسردها ، وأسانيد طويلة تصل بينه وبين أئمة الحديث الذين نقل من كتبهم ، وأشعارًا ، وما إلى ذلك مما لا يجدى .

من أجل ذلك اتخذت هذا الكتاب أصلا ، وأجريت فيه التعديلات التالية :

١ ـ انتقاءُ الأَحاديث الصحيحة من كل باب وإبقاءُ الأبواب كما هى .

٢ ـ إضافة أبواب جديدة فيما يتصل بالتوبة هذبت فيها ما ساقه المؤلف .

٣ ـ إضافة إيضاحات ومسائل لابد منها لشباب العصر .

٤ ـ إضافة أحاديث من الصحاح فى موضوع الكتاب اخترناها صحيحة الأَسانيد .

والله نسأل أن يتوب علينا من كل ذنب ، وأن يجعلنا أهلا لرحمته ، وأن ينفع به المسلمين فى كل مكان ، وأن يجعله خالصًا لوجهه ، وابتغاء مرضاته ، إنه سميع قريب مجيب .

عبد القادر أحمد عطا

القاهرة { رمضان ١٣٩٦
سبتمبر ١٩٧٦ }

الله يدعونا إليه

الدلائل على حب الله تعالى لعباده فى القرآن الكريم لا تُحْصَى وأهمها : قبوله تعالى توبة العصاة ، والتجاوز عن سيئاتهم ، والإنعام بالرضا ، والحب بعد الغضب ، ومن ذلك قوله تعالى :

١ ـ (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ) .

٢ ـ (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) .

٣ ـ (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا) .

٤ ـ (يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

٥ ـ (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) .

٦ ـ (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .

٧ ـ (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

٨ ـ (فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) .

٩ ـ (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) .

١٠ ـ (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ) .

١١ ـ (وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

١٢ ـ (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا) .

١٣ ـ (فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) .

١٤ ـ (حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ) .

١٥ - (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) .

١٦ - (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا)

١٧ - (وَهَلْ نُجَازِى إِلاَّ الْكَفُورَ) . ؟

إلى آيات كثيرة تدعو الخاطئين إلى رحاب الله الودود الرحيم التواب الغفور ، بعد ما بارزوه بالعصيان فسبحانه مِنْ متفضّلٍ مُنْعِمٍ فى حالَى الطاعة والعصيان .

وتدل الآيات على

(أ) أن الله تعالى يبسط يديه بالرحمة والمودة الفائضة على العباد ليقبل توبتهم ، ويمحو سيئاتهم .

(ب) ومن رحمته تعالى : أن يبدل سيئات التائب حسنات جزاءً له على توبته ورجوعه إلى رحابه .

(ج) التوبة والاستغفار باب من أبواب القوة والثروة والغنى للإنسان ماديًا ومعنويًا .

(د) ليس الله تعالى مُحبًّا للانتقام والتعذيب للمؤمنين ولكنه رحيم ودود للمؤمن الراجع إليه .

(هـ) لا يحل غضب الله حقيقة إلا على الكافر المُصِرّ على الكفر ، والمصِرّ على الذنب ، المستهتر بحرمات الله ، أما النادم فهو قريب من رحمة الله ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « الندم توبة » .

(و) لقد علّم الله الإنسان كلمات التوبة وأعمالها بعد أن عصاه : (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) . فلا رحمة ولا مودة أعظم من ذلك ، وما زال الرحمن الرحيم يبسط يديه إلى عباده ليقبل عنهم التوبة حبًّا لهم ، وهو غنى عنهم .

(ز) التوبة والإيمان والعمل الصالح باب الفلاح فى الدنيا والآخرة .

والرسول يرشدنا إلى الطريق

قال الله تعالى لرسوله الرءوف الرحيم صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

وقال الله عنه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وعليه فقد بعثه الله رحمة للمؤمنين وغير المؤمنين ، وانفرد المؤمنون بالرأفة والحرص منه صلى الله عليه وسلم .

ولهذا تكررت إرشاداته صلى الله عليه وسلم للناس أن يسرعوا بالتوبة من الذنوب ، واستغفار الله إياها ، رحمة بهم ، ومن ذلك :

١ ـ أخرج مسلم عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال : « يا عبادى ، إنكم الذين تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا

فاستغفرونى أغفر لكم » . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ وتنبيه إلى أن الخطأ من طبيعة الإنسان .

٢ ــ وأخرج مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاءَ بقوم يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » .

وهذا لأن الذنب المقرون بالاستغفار فيه زيادة معرفة بالله ، وإقرار بالعبودية له ، والذل بين يديه ، وذلك أحب إلى الله من طاعة مقرونة بالعُجب والنسيان .

٣ ــ وأخرج مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه تعالى أنه قال : « أَذْنَبَ عَبْدِى ذنبًا فقال : اللَّهُمَّ اغِفْر لِى ذَنْبى . فقال تبارك وتعالى : أَذْنَبَ عَبْدِى ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَن لهُ ربًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، ويَأْخذُ بالذَّنب . ثم عاد فأذنب ، فقال : اللهم اغفرْ لى ذَنْبى . فقال تبارك وتعالى : أَذنَبَ عبدى ذنبًا ، فعلم أن له ربًّا يغفرُ الذنبَ ، ويأْخذُ بالذنب ، اعمل ما شئت فقد غفرت لك » .

وهذا الحديث شرح للحديث قبله ، وإشارة إلى أن تلك المغفرة لغير المُصِرِّين على الذنوب ، وإلى أنها لمن يحسن الخوف والرجاء على حقيقتهما . وهو مصداق قوله تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ » .

وليس العلم بلا إله إلا الله سهلا كما يبدو ، بل هو من أصول السلوك . فهو يقتضى أن يسلك المؤمن فى حياته موقناً أنه لا نافع ولا ضار سواه ، ولا يتوكل على أحد سواه ، ولا يجزع إن قضى عليه بما لا يوافق هواه ؛ ويوقن أن كل ما يرد عليه من القضاء فإنما هو خير .

٤ ــ وأخرج مسلم عن جُنْدُب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدَّث : « أن رجلا قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وأن الله تبارك وتعالى قال : من ذا الذى يتألَّى علىّ ألا أغفرَ لفلان ؟ فإنى قد غفرتُ له ، وأحبَطْتُ عملك » .

يتألى : يقسم . أحبطت : أبطلت ثوابه .

وإنما غضب الله على هذا الرجل لأنه حَجَّرَ واسعًا من من رحمة الله ، ولم يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

٥ ـ وأخرج أبو داود عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : « كان رجلان فى بنى إسرائيل متآخيَيْنِ أحدهما يُذْنِب ، والآخر مجتهد فى العبادة . فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له : أقصِر . فقال : خلّنى وربى ، أبُعِثتَ علىّ رقيبا ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ، أولا يدخلُك الجنة . فقبض الله أرواحَهما ، فاجتمعا عند رب العالمين . فقال لهذا المجتهد : أكنتَ بى عالما ، أو على ما فى يَدَىَّ قادرا ؟ وقال للمذنب : اذهب ادْخل الجنة برحمتى . وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار » قال أبو هريرة : والذى نفسى بيده لتكلَّم بكلمة أوْبَقَتْ دنياه وآخرته .

أقصر : كف عن ذنبك . أوبقت : أهلكت .

والحديث شرح للحديث الذى قبله ، وفيه بيان العلة فى غضب الله على من يجزم بأن الله لا يغفر لإنسان مذنب.

٦ ـ وأخرج الترمذى عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى : « يابن آدم ، إنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غفرتُ

لك على ما كان منك ولا أُبالى . يابن آدم ، او بلغَتْ بك ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثم استغفرتنى غفرت الك على ما كان منك ولا أُبالى . يابن آدم ، او أَتَيْتَنى بِقُرَاب الأَرض خطايا ، ثم لقيتَنى لا تشرك بى شيئًا إلا أَتيتُك بِقُرابِها مغفرة » .

عنان السماءِ : أَعلاها . قراب الأَرض : ملء الأَرض .

وتلك المغفرة لأَهل الدعاءِ والاستغفار والبراءَة من الشرك الظاهر ، والخفى .

٧ ـ وأَخرج مسلم عن الأَغرّ المُزنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأَيها الناس ، توبوا إلى الله واستغفروه ، فإِنى أَتوبُ فى اليوم أَكثر من سبعين مرة »

وتوبة الرسول ليست من الآثام ، وإنما هى من منازل المعرفة الله التى ارتقى عنها إلى أَعلا منها ، فرآها ناقصة وكان دائم الارتقاءِ فى المعرفة .

٨ ـ وأَخرج البخارى عن أَبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والله إنى لأَستغفر الله ، وأَتوب إليه فى اليوم أَكثر من سبعين مرة » .

٩ – وأَخرج مسلم وأَحمد عن أَنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَلّهُ أَشد فرحًا بتوبة أَحدكم حين يتوب إليه ، من أَحدكم كان على راحلته بأَرضٍ فَلَاة ، فانفلتَتْ منه وعليها طعامه وشرابه ، فأَيِسَ منها ، فأَتى شجرة فاضطجع فى ظلها ، وقد أَيِس من راحلته ، فَبَيْنَا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأَخذ بِخِطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أَنت عبدى وأَنا ربُّك . أَخطأَ من شدة الفرح » .

فلاة : لا نبات فيها . أَيس : يئس . راحلته : ناقته . الخطام : الزمام .

١٠ – وأَخرج مسلم عن أَبى موسى الأَشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبسط يدَه بالليل ليتوب مُسِيءُ النهار ، ويبسط يَدَه بالنهار ليتوب مسيءُ الليل » .

واليد وصف حميد نثبت ظاهره لله تعالى ، ونكل علم حقيقته إليه تعالى كما كان عليه الصحابة .

١١ – وأَخرج مسلم عن أَبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تاب قبل أَن تطلع الشمسُ من مغربها تاب الله عليه » .

وليس معنى هذا الدعوة إلى التسويف بالتوبة ، بل هو إخبار عن الواقع فى شأن العباد ، وأن باب التوبة مفتوح حتى تظهر هذه العلامة التى لا ندرى متى تظهر .

١٢ ــ وأخرج الترمذى عن صفوان بن عسَّال قال : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم باباً من المغرب عرضُه ــ أو مسيرة الراكب فى عرضه ــ أربعون أو سبعون عاماً قِبَل الشام ، خلقه يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً للتوبة ، لا يُغْلَق حتى تطلع الشمس من مغربها .

« أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح »

١٣ ــ وأخرج الترمذى وابن ماجه بسند قوى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل بنى آدم خَطَّاءُون ، وخير الخَطَّائين التَّوَّابون » .

١٤ ــ وأخرج الترمذى وابن ماجه والدارمى عن ابن عباس وأنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون له ثالث ، ولا يملأُ فاه إلا الترابُ ويتوب الله على من تاب » .

والحديث يشير إلى أن المال سبب رئيسى من أسباب فساد الإنسان ، واختلال توازنه ، وضلاله فى الدين .

١٥ ــ وأخرج البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان فيمن كان قَبْلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأَل عن أعلم أَهل الأَرض ، فدُل على راهب فأَتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمل به مائة ، ثم سأَل عن أَعلم أَهل الأَرض ، فدُلَّ على رجل عالم . فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يَحُول بينك وبين التوبة ؟ انطلق إلى مدينة كذا وكذا ، فإن فيها ناسًا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أَرضك ، فإنها أَرض سوءٍ . فانطلق حتى إذا نصَّف الطريق أَتاه مَلَك الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءنا تائباً بقلبه إلى الله . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط . فأَتاهم ملك بصورة آدمى فجعلوه بينهما حَكَمًا فقال : قِيسُوا ما بين الأَرضَيْن فإلى أَيهما كان أَقرب فهو له ، فقاسوه فوجدوه أَدنى إلى الأَرض التى أَراد ، فقبضته ملائكة الرحمة »

وفى رواية : « فكان إلى الأَرض الصالحة أَقرب بِشِبْرٍ ، فجُعل من أَهلها » .

وفى رواية : « فأوحى الله تعالى إلى هذه : أن تقرّبى وإلى هذه : أن تباعدى ، وقال : قيسوا ما بينهما ،

وهو معنى قوله تعالى فى الحديث القدسى : « سبقت رحمتى غضبى » . ودعوة من الله إلى الرجاء مع الإقلاع عن الذنب ، فالرجاءُ هنا صحيح مستجاب .

١٦ ـ وأخرج البغوى فى شرح السنة ، قال لقمان الحكيم لابنه : « عوِّد لسانك : اللَّهُمَّ اغفر لى . فإن لله ساعات لا يَرُدُّ فيها سائلا » .

١٧ ـ وأخرج عن زيد بن أسلم : « يُؤْتَى برجل يوم القيامة فيقال : انطلقوا به إلى النار . فيقول : يارب ، أين صلاتى وصيامى ؟ فيقول الله عزوجل : اليوم أُقنِّطُك من رحمتى كما كنت تُقَنِّط عبادى منها » .

وعلى هذا درج كثير من الوعاظ فى عصرنا الحاضر ، وأهملوا الوجه المقابل ، وهو : تحبيب الله إلى العباد ، بذكر رحمته وسعتها مع الحث على التوبة.

التوبة وحقيقتها

قال رجال السلوك : التَّوبَةُ أَوَّلُ منزلة من منازل السالكين ، وأول مقام من مقامات الطالبين .

وهى فى لغة العرب : الرجوع . يقال : تاب ، أى رجع . فالتوبة : الرجوع عما كان مذموماً فى الشرع إلى ما هو محمود فيه

وأجمع العلماءُ على أن التوبة واجبة من كل ذنب . فإن كانت معصية بين العبد وبين الله تعالى ، فلا تتعلق بحق آدمى ، فلها شروط ثلاثة :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

الثانى : أن يندم على فعلها .

الثالث : أن يعزم على ألا يعود إليها أبدا .

فإن كانت معصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة .

والرابع : أن يبرأ من حق صاحبها .

فإن كان مالا ، أو نحوه رده إليه . وإن كان غِيبة استحلَّه منها .

وإن كان حدَّ قَذْف ، أَو نحوه مكَّنه من القصاص أَو طلب عفوه .

والتوبة واجبة على الفور من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحت توبته مما تاب منه ، وبقى عليه ما لم يتب منه .

ويقول الجنيد بن محمد البغدادى : التوبة على ثلاثة معان : أولها : الندم . والثانى : يعزم على ترك المعاودة . والثالث : يسعى فى أداءِ المظالم .

وإن كان استحلال صاحب الحق يترتب عليه قتل المذنب كالاستحلال من الزنا ، فيكفى الاستحلال العام ، كأن يقول لصاحب الحق : سامحنى فيما أخطأت فى حقك

وقد تكلم العلماء فى التوبة كثيراً . ونذكر بعض أقوالهم توضيحاً لحقيقتها .

قال الأستاذ أبو على الدقاق : التوبة على ثلاثة أقسام أولها : التوبة . وأوسطها : الإنابة . وآخرها : الأَوْبَة .

فقد جعل التوبة بداية ، والإنابة وسطا ، والأوبة نهاية ، فمن تاب خوفاً من العقوبة فهو صاحب إنابة . ومن تاب استجابة للأمر ، لا لرغبة فى الثواب ، ولا لرهبة من العقاب ، بل حبًّا لله فهو صاحب أَوْبة ، وهو أعلاها مقامًا .

وقال أبو القاسم القشيرى : التوبة صفة المؤمنين . قال تعالى : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ والإنابة صفة الأولياء والمقربين قال تعالى : ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾

والأَوْبة صفة الأَنبياء والمرسلين . قال تعالى : (نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) .

وقال ذو النون المصرى : توبة العامة من الذنوب ، وتوبة الخاصة من الغفلة عن ذكر الله ، وتوبة الأَنبياء من رؤْية الأَكوان .

وعلى هذا أَيضًا يفسر قوله صلى الله عليه وسلم : « فإنى أتوب إلى الله كل يوم مائة مرة » .

وقال الجنيد البغدادى : التوبة : أَن تُقْبِل على الله بالْكُلِّيَّةِ كما أَعرضتَ عنه بالكلية . ويؤيِّده قوله تعالى : (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) .

وقال سهل بن عبد الله : التوبة هى : الندم والإقلاع والتحول عن الحركات المذمومة إلى الحركات المحمودة . وهو معنى حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم : « الندم توبة » . وهو فى مسند الإمام أَحمد .

والله تعالى يسعف العبد بالعون والتوفيق إلى التوبة التى تحركت نفسه إلى تحقيقها ، وتشوقت إليها ،

وضاقت بما هى عليه من ذنب . وقد بين القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى : (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) .

ولهذا قال رُوَيْم البغدادى : التوبة هى إسقاط رؤية التوبة . أى إسقاط رؤيتها صادرة من نفس المسلم ، بل مِنَّة من الله إليه ، وهو مُنفِّذ لها بعد ما تحركت نفسه إليها ، وصَدَق افتقاره إلى ربه ، ولم يجد له مفرًّا من نفسه إلا إلى الله تعالى ، وصدق فى التخلُّق بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فحينئذ يسعفه الله تعالى بالتوفيق إليها ، ويعينه على تحقيقها .

وهل ينسى التائب ذنوبه التى تاب عنها ؟ أَويذكرها ليندم عليها ؟ والإجابة على هذا فى مناقشة حدثت بين السَّرِى السَّقَطى ، وشاب من العُبَّاد ، رواها الجنيد البغدادى ، قال : دخلت على السرى فوجدته متغيرًا ، فقلت له : مالك ؟ قال : دخل على شاب فسألنى عن التوبة ، فقلت : أَلَّا تنسى ذنبك ، فعارضنى وقال :

التوبة أن تنسى ذنبك . فقلت : وإن الأمر عندى كما قال الشاب . فقال : ولم ؟ قات : لأنى كنت فى حال الجفاء ، فنقلنى إلى حال الصفاء ، فَذِكْرُ الجفاءِ فى حال الصفاءِ جفاءٌ ، فسكت .

أقول : وهذا حق ، لأن من شرط التوبة : العمل الصالح ، وذِكْر الذنب ربما عطل عن العمل إذا أُصيب التائب بالكآبة من أجله ، ويخطىءُ البعض فيذكرون ما كان منهم من الذنب على سبيل التسلية ، وهو خطأٌ فاحش ، وحنين إلى تلك الذنوب فى الحقيقة .

والتوبة النصوح لايبقى على صاحبها أثر من المعصية لا سرًّا ولا جهرًا . ويقول ابن عطاء : من كانت توبته نصوحا لا يبالى كيف أمسى وأصبح ، يعنى : لا يبالى بما كان منه قبل التوبة ، فقد محاه الله من صحيفة عماه .

والتوبة يجب أن تعم الجوارح كلها ، وقد أوضح ذو النون المصرى ذلك فى قوله : على كل جارحة لابن آدم توبة ، فتوبة القلب : أن ينوى ترك المحظورات ، وتوبة العينين : الغض عن المحارم ، وتوبة اليدين : ترك تناول مالا يحل ، وتوبة الرجلين : ترك السعى

فى الملاهى ، وتوبة السمع : ترك الإصغاء إلى الباطل ، وتوبة الفرج : القعود عن الفواحش .

وقال عن التوبة النصوح : إنها إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب ، والخوف من الرجوع إلى الذنب ، وهجران قرناء السوء ، وملازمة أهل الحياء .

أقول : وهو مخالف للرأى القائل : بوجوب نسيان الذنب ، وفى كلٍّ خير إذا صلح القلب .

* * *

الخوفُ وَالرجَاء

أَقول : إن الذنوب يجب أن يقترن بها الخوف ، والتوبة . والأَعمال الصالحة يجب أن يقترن بها الرجاءُ .

ويخطىءُ كثير جدًّا من الناس ، فيستعملون الرجاءَ فى غير موضعه ، إذ يرجون ، وهم مقيمون على الذنوب ، ويقولون : إن الله واسع المغفرة ، وهو الغفور الرحيم ، وليس هذا رجاءً ، وإنما هو الغِرَّة بالله ، وفرق بين الغرة والرجاءِ .

وقد ضرب المحاسبي مثلا لهؤلاءِ المخطئين فى استعمال الرجاءِ فقال : مثلهم كمثل سيد قال لعبده : إن فعلت ما أَمرتك به أَعطيتك أَلف درهم وبيتًا تسكنه ، وإن لم تفعل حبستك وضربتك أَلف سوط ، فلم يفعل العبد ما أمر به ، وقال : إن سيدى يحبنى وسيعطينى ما وعدنى ، وذهب إليه بهذا الأَمل الكاذب ، فضربه ، وحبسه ، ولم يعطه شيئًا .

فالاستعمال الصحيح للرجاءِ هو الإِقلاع عن الذنب ، والبدءُ فى ممارسة الأَعمال الصالحة . وهنا يكون الرجاءُ الحق .

أَما الخوف فيجب أَن يقترن بالخطأِ واقتراف الذنوب ، فربما أَدى الخوف إِلى التوبة .

أَما الرجاءُ مع الذنب فيؤدى إِلى الغِرَّة . ثم الانسلاخ من الدين .

. . .

ما يكفر الذنوب ما تقدم منها وما تأخر

١ ـ عن معاذ بن أنس الجهنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوبًا جديدًا فقال : الحمد لله الذى كسانى هذا ، ورزقنيه من غير حَوْل منى ولا قوة ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

« أخرجه أبو داود والترمذى وقال : حسن . والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى » .

٢ ـ وأخرج ابن أبى شيبة ، والمروذى فى مسنده ، وقال المنذرى : رجاله ثقات ؛ عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يُسْبِغُ عبدٌ الوُضُوءَ إلا غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

والمراد : الدوام على إسباغ الوضوء ، لا المرة الواحدة ، لأن إسباغ الوضوء شرط فى صحة الصلاة ، ودلالة على عناية العبد بالصلاة ، وشدة المعرفة بجلال الله والصلوات الخمس مع المعرفة كفارات لما بينهن بنص الحديث .

٣ ـ وأَخرج ابن السُّنِّى فى عمل اليوم والليلة وأبو نعيم فى الحلية ، وأَحمد فى الزهد عن أَنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبدين متحابين فى سبيل الله يستقبل أَحدهما صاحبه فيصافحه ؛ ويصلِّيان على النبى صلى الله عليه وسلم إلا لم يفترقا حتى تُغفَر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأَخر » .

٤ ـ وأَخرج عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم ابن هوازن القشيرى فى الأَربعين عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأَ إذا سلم يوم الجمعة قبل أَن يَثْنى رجليه فاتحة الكتاب ، وقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وقل أَعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، سبع مرات غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأَخر ، وأُعْطِى من الأَجر بعدد من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر » .

٥ ـ وأَخرج أَبو داود عن أُم سلمة قالت . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أَهَلَّ بحجٍ أَو عُمْرة من المسجد الأَقصى إلى المسجد الحرام غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأَخر ، ووجبت له الجنة » .

٦ـ وعن أبي هريرة ، والحسن بن على ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

احتسابًا : إخلاصًا لله تعالى .

٧ـ وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من علَّم القرآن نَظَرًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر » .

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ما يكفر ما تقدم من الذنوب

١ ـ عن عثمان أنه دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه ثلاث مرات . ثم أدخل يمينه فى الوضوء . ثم تمضمض واستنشق واستنثر . ثم غسل وجهه ثلاثا . ثم مسح برأسه . ثم غسل كلتا رجليه ثلاثا . ثم قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا وقال : « من توضأ نحو وضوئى هذا . ثم صلى ركعتين لا يحدّث نفسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه » .

« أخرجه البخارى ومسلم والإمام أحمد »

٢ ـ عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

« أخرجه البخارى »

٣ ـ وعنه أيضًا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قال الإمام : غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .

فقولوا : آمين فإن من وافق قولُه قولَ الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه » .

«أخرجه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى»

٤ ـ عن معاذ بن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أكل طعامًا فقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حَوْل منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

« أخرجه أبو داود ، والترمذى وقال : حسن صحيح وابن ماجه »

٥ ـ عن أبى أيوب الأنصارى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من توضأ كما أُمر غفر له ما تقدم من عمل » . يعنى : من عمل الذنوب .

« أخرجه النسائى »

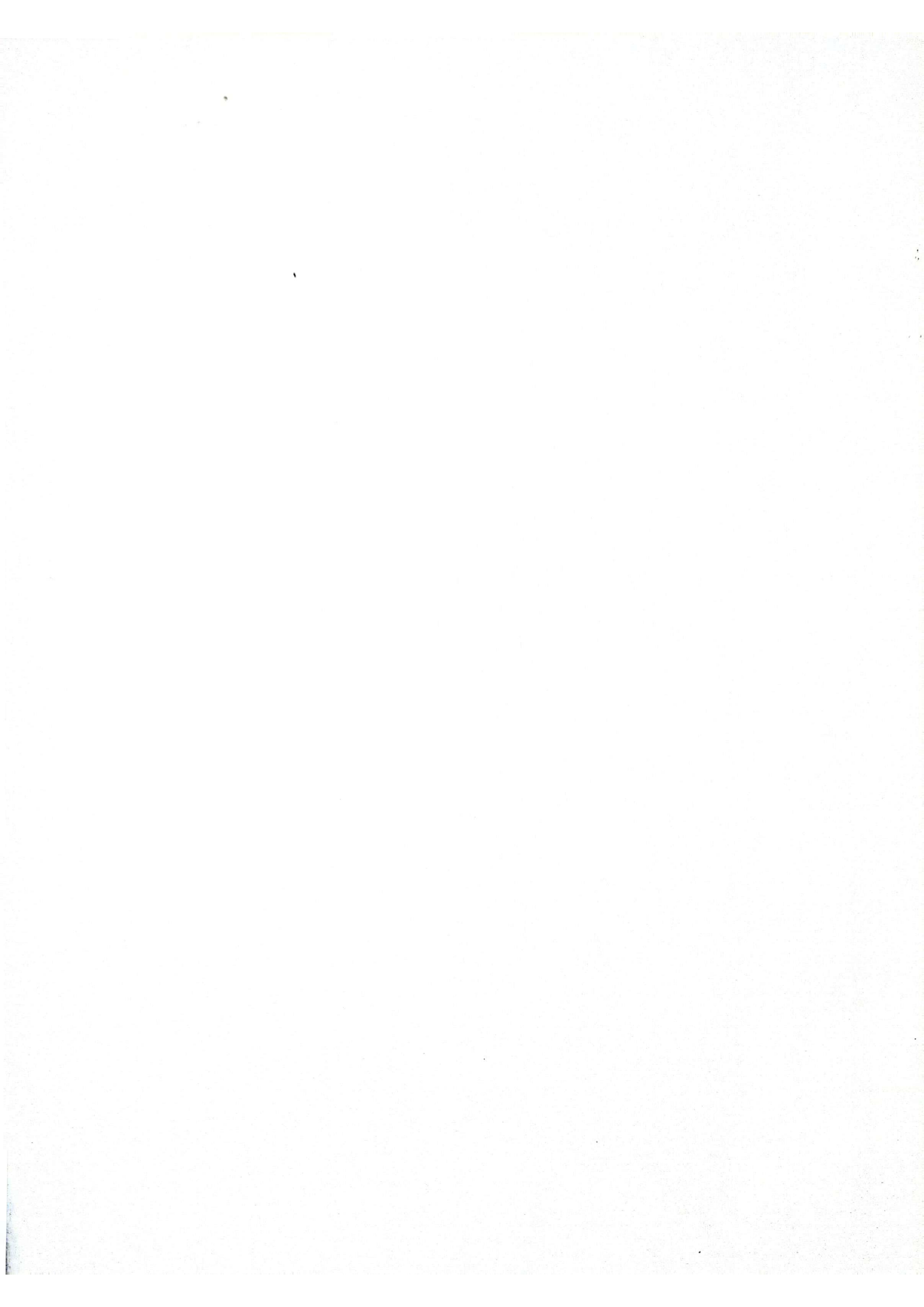
٦ ـ عن عثمان بن عفان قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : « من توضأ نحو وضوئى هذا ، ثم أتى المسجد ، فركع فيه ركعتين ، غفر له ما تقدم من ذنبه » .

« أخرجه البزار ، ورجاله رجال الصحيح»

٧ ـ عن زيد بن خالد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ وضوءه ، ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما ، غفر له ما تقدم من ذنبه » .

« أخرجه أبو داود »

* * *



مَايخرج الإنسان من الذنوب
كيوم وَلدته أمه

١- أَخرج البخارى ومسلم عن أَبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حجَّ لله فلم يرفُثْ ، ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْم ولدته أُمه » .

والمراد أَن يكون الحج لله وحده ، وأَن يكون من مال حلال خالص . والرفث : الجماع ، وكل لغـو ومجون ، وزور .

٢ ـ وأَخرجَ التِّرْمذِى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه » .

٣ ـ عن أَبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : حدثنى أَبى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « إن الله عز وجل فرض عليكم صيام رمضان ، وسَنَنْتُ لكم قيامه ، فمن صامه إيمانًا واحتسابًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه » .

« أَخرجه النسائى وابن ماجه »

٤ - عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أَضْحَى يومًا مُحْرِما ملبيًّا حتى غَرَبَت الشمس ، غربت بذنوبه كما ولدته أُمه » .

« أَخرجه الإمام أَحمد والترمذى وابن ماجه »

٥ - عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى الفجر - أَو قال : الغداة - فقعد فى مقعده . فلم يَلْغُ بشىءٍ من أَمر الدنيا ، يذكر الله عز وجل حتى يصلى الضحى ، ثم صلى أَربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه » .

« أَخرجه ابن السنى »

٦ - عن عثمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « من قال حين يفرغ من وضوئه : أَشهد أَن لا إِله إِلَّا الله ثلاث مرات لم يقم حتى يصير كما ولدته أُمه » . والمراد : التحقق السلوكى بالكلمة ، لا مجرد النطق بها .

« أَخرجه ابن السنى »

٧ - عن أَنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذا مرض العبد ثلاثة أَيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه » .

« أَخرجه الطبرانى فى الأَوسط والصغير »

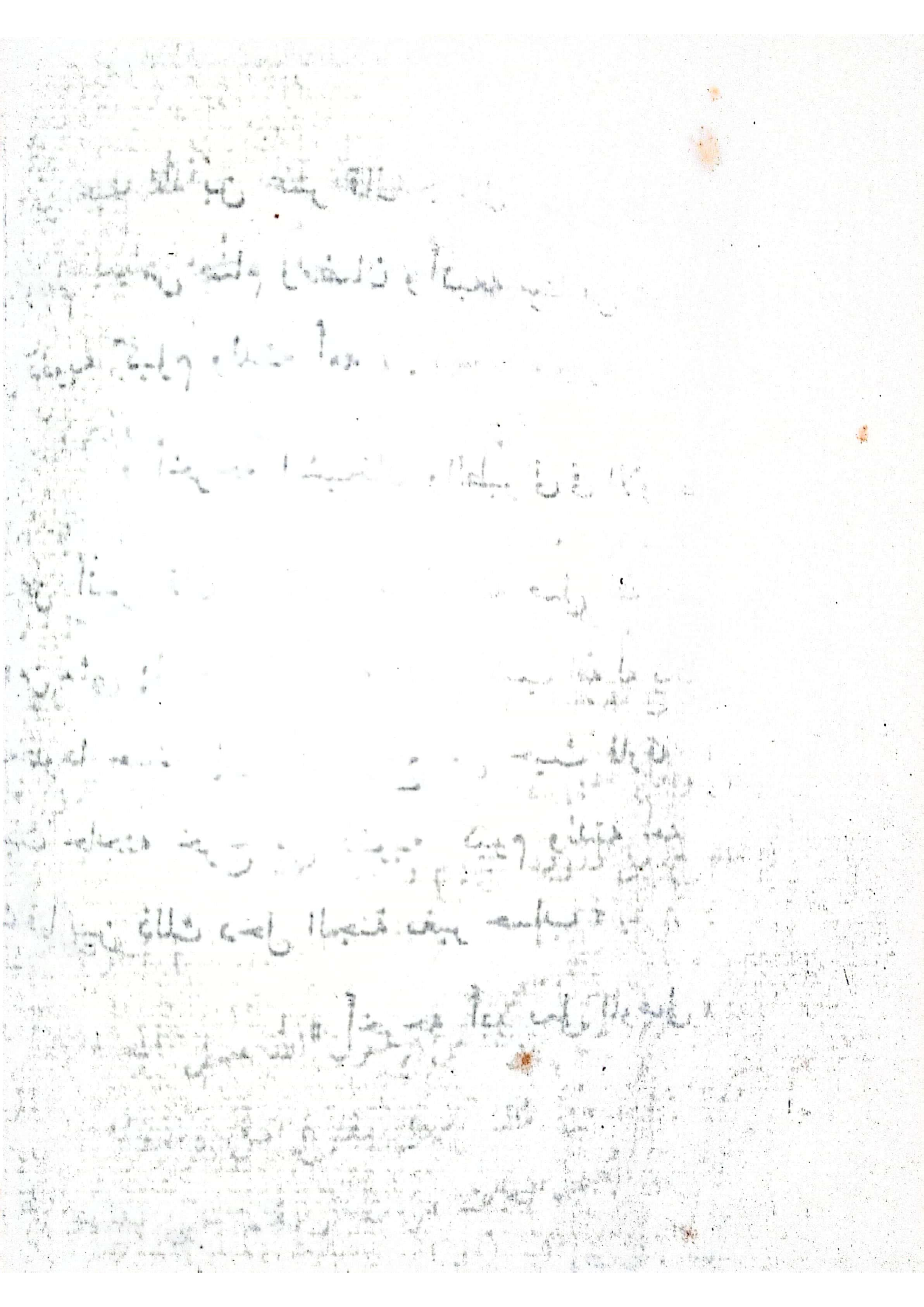
٨ ـ عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان وأتبعه ستًّا من شوال ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه » .

« أخرجه الشيخان والطبرانى فى الأوسط »

٩ ـ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مشى إلى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة إلى أن يرجع من حيث فارقه ، فإن قُضيت حاجته خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه . وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب » .

« أخرجه أبو يعلى الموصلى »

* * *



ما يكفر الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر

١ - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبّح الله تعالى دُبُرَ كلِّ صلاة ثلاثًا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين ، وكبّر الله ثلاثًا وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

« أخرجه مالك في الموطأ ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي والطبراني »

٢ - وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال إذا أصبح مائة مرة وإذا أمسى مائة مرة : سبحان الله وبحمده ، غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر » .

« أخرجه ابن حبان في صحيحه . والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم »

٣ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على الأرض أحد يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إلا كفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » . يعني التحقق بذلك .

« أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح . والنسائي »

٤ - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبح الله تعالى دُبُر كل صلاة مكتوبة مائة مرة ، وهللّ مائة مرة ، وكبر مائة مرة ، غفرت ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر » .

« أخرجه النسائي »

٥ - وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبح الله دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة ، وهلل مائة تهليلة ، وكبر مائة تكبيرة ، غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » . « أخرجه النسائي »

٦ ـ وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يأوى إلى فراشه : لا إله إلّا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، والله أكبر ، غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر . أو قال : أكثر من زبد البحر » .

« أخرجه ابن حبان ، وابن السنى متصلا ، والنسائى موقوفًا »

٧ ـ عن معاذ بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قعد فى مُصَلّاة حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يصلى ركعتى الضحى لا يقول إلا خيرًا ، غفرت له خطاياه ، وإن كانت أكثر من زبد البحر » .

« أخرجه الإمام أحمد وأبو داود »

٨ ـ عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال بعد الفجر ثلاث مرات ،

وعدد الحصى والأرض من الثرى : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

« أخرجه ابن السني وأبو نعيم الأصبهاني »

٩ – عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حافظ على صلاة الضّحى غُفرت ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر » .

« أخرجه عبد بن حميد في مسنده »

١٠ – عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على وجه الأرض رجل يقول : لا إله إلّا الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، إلّا كُفّرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر » .

« أخرجه الحافظ حميد بن مخلد بن زنجويه النشوى في ترغيبه »

١١ – عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يقول عند ردّ الله روحه : لا إله إلّا الله

وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » .

ردُّ الروح : الصحو من النوم .

« أخرجه ابن ماجه ، والنسائى »

١٢ ـ عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلّا هو الحىّ القيومَ وأتوب إليه ، ثلاث مرات ، غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » .

« أخرجه ابن السنى ، والطبرانى فى الأوسط ، ولم يذكر (الحى القيوم) وقال : (وإن كانت) » .

١٣ ـ عن أبى سعيد الخُدْرِىِّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يأْوى إلى فراشه : أستغفر الله الذى لا إله إلّا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، وإن كانت

عدد النجوم ، وإن كانت عدد رَمْل عَالِج ، وإن كانت عدد أيام الدنيا » .

« عالج : رمال بين فيد والقريات على طريق مكة » .

« أخرجه الترمذى وقال . حسن »

١٤ ـ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : سبحان الله وبحمده ، فى كل يوم مائة مرة ، حُطَّت خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر » .

« أخرجه البخارى ، وأحمد ، وابن ماجه ، ومسلم »

١٥ ـ عن محمد بن عمار بن ياسر قال : رأيت عمار ابن ياسر يصلى بعد المغرب ستَّ ركعات وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بعد المغرب ست ركعات وقال : « من صلى بعد المغرب ست ركعات حُطَّت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » .

« أخرجه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة »

١٦ ـ عن سلمان الفارسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن المسلم إذا لقى أخاه فأخذ بيده تحاتت

ذنوبهما كما يَتَحَاتُّ الورق عن الشجرة اليابسة فى يوم ريح عاصف ، وغفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر » .
تحاتت : سقطت .

« أخرجه الطبرانى وأحمد فى الزهد »

١٧ ـ عن أبى ذر الغفارى قال : كلمات من ذكرهن مائة مرة دبر كل صلاة : « الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم لو كانت ذنوبه مثل زَبَدِ البحرِ لَمَحَتْهُنَّ » .

« أخرجه الإمام أحمد »

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ويقول الله تعالى : [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صدق الله العظيم

ما يغفر الذنوب وإن كان قد فر من الزحف

١ ـ عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال : أستغفر الله الذى لا إلٰه إلّا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غفر له وإن كان قد فَرَّ من الزَّحْف » .

« أخرجه أبو داود ، والترمذى ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم » .

٢ ـ عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استغفر الله فى دُبُرِ كل صلاة ثلاث مرات فقال : أستغفر الله الذى لا إلٰه إلّا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غفر الله له ذنوبه وإن كان قد فَرَّ من الزحف » . « أخرجه ابن السنى ، وأبو نعيم »

٣ ـ وعنه أيضًا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال دُبُرَ كل صلاة : أستغفر الله العظيم

وأتوب إليه ، غفر له وإن كان قد فرَّ من الزحف » .

« أخرجه الطبراني في الأوسط »

والمراد : أن يكون هذا الذكر بحضور كامل للقلب ، ونفي كامل لجميع ما يشغل عن معاني الذكر والتلبس بها ، حتى يكون الذكر بالقلب واللسان والهمة والعقل ، وأن تخضع الجوارح لما يقتضيه من أحكام .

ما يغفر الذنوب بوجه عام

١ - عن أَبى سعيد الخُدْرِيّ ، وأَبى هريرة عن النبى ، صلى الله عليه وسلم قال : « ما يصيب ابنَ آدم من نَصَب ، ولا وَصَب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أَذى ، ولا غم حتى الشوكة يُشَاكُها إلا كفر الله بها من خطاياه » .

« أَخرجه البخارى ومسلم »

٢ - عن البراءِ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مُسْلِمَيْنِ يلتقيان فيتصافحان إلا غفر الله لهما قبل أَن يتفرقا » .

« أَخرجه أَبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه »

٣ - وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا ، وتكاشرا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما بينهما » . تكاشرا : تبسما .

« أخرجه ابن السنى »

٤ ـ عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا توضأ العبد المسلم ، أو المؤمن ، فغسل وجهه ، خرجت من وجهه كل خطيئة نظرها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء . فإذا غسل رجليه خرجت من رجليه كل خطيئة مشتها رجله مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، حتى يخرج نقيًّا من الذنوب » .

« أخرجه مالك ، ومسلم ، والترمذى ، وقال : حسن صحيح »

٥ ـ عن أبى أيوب الأنصارى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال : أستغفر الله الذى لا إله إلّا هو الحى القيوم وأتوب إليه خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من جلدها » .

« أخرجه الطبرانى »

٦ ـ عن أُمِّ هانئ بنت أَبى طالب قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قول لا إلٰه إلَّا الله لاتترك ذنبًا ، ولا يشبهها عمل » .

« أَخرجه الحاكم فى المستدرك »

والمراد : قولها والعمل بمقتضاها ، فلا يخضع المؤمن إلا لله ، ولا يخاف إلا منه ، ولا يهاب إلا إياه ، ولايعمل إلا لوجهه وحده .

٧ ـ عن أَنس قال : قيل : يا رسول الله الرجل يكون قصير العمر كثير الذنوب . قال : كل آدمى خطاءٌ ، فمن كانت له سَجِيَّة عقل ، وغريزة يقين ، لم تضره ذنوبه شيئًا . قيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : كلما أَخطأَ لم يلبث أَن يتوب ، فيُمْحَى ذَنْبُهُ ، ويَبْقَى فَضْلٌ يُدْخِلُه الجنة » .

« أَخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأُصول »

٨ ـ عن أَبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله ، وما عليه خطيئة » .

« أخْرجه الترمذى ، ومالك فى الموطأ »

٩ ـ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من حَافِظَيْنِ يرفعان إلى الله تعالى ما حفظا من عمل عَبْد فى ليل أو نَهارٍ ، فيجد فى أول الصحيفة وآخرها خيرًا ، إلا قال الله تعالى لملائكته : أُشهدكم أنى غفرت لعبدى ما بين طَرَفَىِ الصحيفة » .

« أخرجه الترمذى »

١٠ ـ عن سعد بن أَبى وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربًّا ، وبمحمد رسولًا وبالإسلام دينًا ، وفى رواية : نبيًّا ، غُفِرَ له » .

« أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى »

١١ –عن أَبي بكر قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أَلا أُقرئك آية أُنزلت عَلَيَّ ؟ قلت : بلى . فأَقرأَنى : (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) . فلا أَعلم إلا أَنى وجدت فى ظهرى انفصامًا ، فتمطأْت لها ، فقال : ما شأْنك يا أَبا بكر ؟ فقلت : يا رسول الله ، بِأَبى أَنت وأُمى ، وأَيُّنا لم يعمل سوءا ؟ وإنا لَمَجْزِيُّون بما عملنا ؟ قال : أَما أَنت يا أَبا بكر والمؤمنون فتجزَوْن فى الدنيا ، حتى تَلْقَوا الله ، وليس عليكم ذنوب ، وأَمَّا الآخرون فيُجمَع لهم ذلك حتى يُجْزَوْا به يوم القيامة » .

« أَخرجه الترمذى و أَحمد »

١٢ –عن ابن عباس ، أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال للعباس بن عبد المطلب : أَلا أَحْبُوكَ ؟ أَلا أَفعل بك عشر خصال إذا أَنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك ، أَوَّلَهُ وآخره ، وقديمه وحديثه ، وخطأَه وعمده ، وصغيره و كبيره ، سره وعلانيته ؟ عشر خصال :

أن تصلى أربع ركعات ، تقرأ فى كل سورة فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة قلت وأنت قائم : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، والله أكبر . خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ، ثم ترفع رأسك من الركوع ، فتقولها عشر مرات ، ثم تهوى ساجدًا ، فتقولها عشر مرات ، وأنت ساجد ، ثم ترفع رأسك من السجود ، فتقولها عشرًا ، ثم تسجد وتقولها عشرًا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا . فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، فافعل ذلك فى أربع ركعات . إن استطعت أن تصليها فى كل يوم فافعل ، فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة » .

« أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة والبيهقى والطبرانى وفى آخره : « ولو كانت ذنوبك مثل زبد البحر ورمل عالج غفر الله لك » .

ورغم ما يثور حول هذه الصلاة وهذا الحديث من كلام فإن كثيرًا من السلف حافظوا عليها ، وجربوا خيرها قال المعافى بن عمران : « ما وجدت للنوازل مثل صلاة التسبيح » .

١٣ – عن أبى بكر قال : يا رسول الله ، كيف الصلاح بعد هذه الآية : (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) ؟ . فكل عمل عملنا جُزِينا به ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « غفر الله لك يا أبا بكر ، أَلَسْتَ تمرض ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ ؟ ألست تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ ؟ » قال : بلى . قال : « فهو ما تُجْزَوْنَ به » اللَّأْواءُ : الشدة وضيق المعيشة .

« أخرجه أحمد والترمذى بمعناه عن أبى هريرة وحسّنه »

وذلك بشرط أن يحتسب العبد ما يصيبه لله ، ولايجزع منه ، بل يرضى به ، ويحبه لأنه قضاءُ الله .

١٤ – عن على قال : كنت إذا سمعت من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم حديثًا ، نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى

منه ، وحدثني أبو بكر ، وصدق أبو بكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يذنب ذنبًا ، ثم يتوضأُ فيصلي ركعتين ، ثم يَسْتَغْفِرُ اللهَ لذلك الذنب إلا غَفَرَ له » . وقرأ هاتين الآيتين : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَه ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا) .

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم) .

« أخرجه أحمد والترمذي »

١٥ ـ عن علي قال : ألا أُخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى ؟ حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) . وقال : سأفسرها لك يا علي . ما أَصابكُمْ من مرَض أو عُقُوبَة أو بَلاءٍ في الدنيا فبما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، والله تعالى أكرم من أن يُثَنِّي عليهم العقوبة في الآخرة ،

وما عفا الله تعالى عنه فى الدنيا ، فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوه » .

« أخرجه الإمام أحمد ، والحاكم فى المستدرك وصححه »

١٦ ــ عن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتم الوضوءَ ، كما أَمَرَهُ الله فالصَّلوات المكْتُوبَاتُ كفارات لما بينهن » .

« أخرجه الإمام أحمد فى المسند »

١٧ ــ عن عقبة بن عامر أنه خرج مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبُوك ، فجلس يومًا يحدث أَصحابه فقال : « من قام إذا استقلَّت الشمس فتوضأَ فأَحسن الوضوءَ ، ثم قام فصلى ركعتين غُفِرَتْ له خطاياه فكان كما ولدته أُمه » . قال عقبة بن عامر : فقلت : الحمد لله الذى رزقنى أن أَسمع هذا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فقال لى عمر بن الخطاب ، وكان تُجَاهِى جالسًا : أتعجب من هذا ؟ فقد قال رسول الله ، صلى الله

يه وسلم أعجب من هذا قبل أن تأتى . فقلت : وما ذاك

بأبى أنت وأمى ؟ فقال عمر : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم نظر إلى السماء ،

فقال : أشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد

أن محمدًا عبده ورسوله ، فتحت له ثمانية أبواب الجنة

يدخل من أيّها شاء » .

« أخرجه الإمام أحمد ، وأخرج أصله مسلم وأبو داود »

١٨ – عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، أن أبا موسى جاء

إلى الحسن بن على يعوده ، فقال له على : أعائدًا جئت

أم شامتًا ؟ قال : لا ، بل عائدًا ، فقال له على : إن كنت

جئت عائدًا ، فإنى سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

يقول : « إذا عاد الرجل أخاه المسلم ، مشى فى خِرَافَةِ الجنة

حتى يجلس ، فإذا جلس غَمَرَتْهُ الرحمة ، فإذا كان

غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسى ، وإن كان

مساءً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح » .

« أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم - خِرَافَةُ الجنة : اجتناء ثمر الجنة » .

١٩ - عن عثمان أنه دعا بِطَهُورٍ فتطهر ، ثم قال سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : « من تَطَهَّرَ كما أُمر ، وصلى كما أمر ، كُفِّرتْ عنه ذُنُوبُه » فاستشهد على ذلك أربعة من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . قال : فشهدوا بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم » .

« أخرجه الإمام أحمد ، وسنده صحيح »

٢٠ - عن أبَانَ بن عثمان قال : قال عثمان : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرأيت لو أنَّ بفِنَاء أحَدِكم نهرًا يجرى ، يغْتَسِلُ منه كل يوم خمس مرات ما كان يبقى من دَرَنِه ؟ قالوا : لا شىء . قال : الصلوات الخمس تُذْهِبُ الذنوب كما يذهب الماءُ الدَّرَنَ » .

« أخرجه أحمد وابن ماجه والشيخان »

والمراد : الصغائر . أما الكبائر فلا تكفرها إلا التوبة النصوح ، والعمل الصالح تعويضًا عما اقترف .

٢١ — عن على قال : قال لى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ألا أعلمك كلمات إذا قُلْتَهُنَّ غفر الك ، مع أنك مغفور لك ؟ لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلى العظيم ، سبحان الله رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين » .

« أخرجه الإمام أحمد ، والحاكم فى المستدرك »

٢٢ — عن عبد الله بن عباس ، أن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، رأى الفضل بن عباس ، يلاحظ امرأة عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هكذا بيده على عين الغلام وقال : « إن هذا يوم مَنْ حفظ فيه بصره ولسانه غُفِرَ له » قال هنا : معناها وضع .

« أخرجه الإمام أحمد فى المسند »

٢٣ — عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قُبْلَة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، يسأل عن كفارتها ،

فأنزل الله تعالى : « أَقِمِ الصلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ » فقال : يارسول الله ، ألي هذه ؟ فقال : « بل لأُمتى » .

« أَخرجه الترمذى وأحمد »

٢٤ ـ عن ابن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينْفِيَان الفقرَ والذنوب ، كما ينفى الكِيرُ خبَثَ الحديد ، والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة » .

« أَخرجه الإمام أَحمد »

٢٥ ـ عن أُبَيٍّ بن كعب قال : إنى قات : يا رسول الله إنى أكثر الصلاة عليك ، فكم أَجعل لك من صلاتى ؟ فقال ما شئت . قلت : الربع ؟ قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك . قلت : النصف ؟ قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك . قال : قلت الثلثين ؟ قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك ، قال : أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِى كُلَّها ؟ قال : إذن تُكْفَى همَّك ، ويُغْفَرَ لك ذنبُك» « أخرجه الترمذى وقال : حسن ، وابن أبى شيبة

مختصراً » لأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة لا محالة ، وثوابها مضمون لا محالة .

٢٦ ـ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلُّوا عليَّ ، فإن الصلاة عَلَيَّ كفارة لكم ، فمن صلىَّ علىَّ مرة ، صلى الله عليه عشراً » .

« رواه البزار »

٢٧ ـ عن أبى كاهل قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « يا أَبا كاهل ، من صَلىَّ عَلَيَّ كلَّ يوم ثلاث مرات ، وكل ليلة ثلاث مرات ، حُبًّا ، أَو شوقًا إِلَيَّ ، كان حقًا على الله أَن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم » .

« أَخرجه ابن أَبى عاصم »

أَقول : المراد من جميع الأَذكار : العمل بها ، لا مجرد ذكرها باللسان .

مايوجب الجنة

١ ـ عن ابن عمر قال : « يَجِيءُ القُرْآنُ يَشْفَعُ لصاحبه يقول : يارب ، لكل عامل عُمَالَةٌ ، وإنى كنت أَمنعه اللذة والنوم فأَكرمه . فيقال : ابْسُط يمينك ، فيُمْلأُ من رضوان الله. ثم يقال : ابسُط شمالك ، فيُملأُ من رضوان الله ، ويُكْسَى كسوة الكرامة ، ويُحلَّى حِلْيَةَ الكرامة ، ويُلْبَس تاج الكرامة » .

« أَخرجه الدارمى فى سننه »

٢ ـ عن أَبى أَيوب الأَنصارى : أَن رجلا قال : يا رسول الله أَخبرنى بعمل يدخلنى الجنة . فقال القوم : ماله ؟ ماله ؟ فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « تعبدُ

الله لا تشرك به شيئاً وتقيمُ الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصلُ الرَّحِم ».

« أخرجه البخاري »

٣ـ عن سهل بن سعد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا . وقال بإصبعيه السبابة والوسطى » . . قال : اى أشار .

« أخرجه البخاري » .

٤ ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم تُدْرِكُ له ابنتان ، فيحسن إليهما ماصحبتاه ، أَوْ صَحِبهما ـ إلا أدخلتاه الجنة » .

« أخرجه الإمام أحمد فى المسند »

٥ ـ عن أبى وائل قال : قال ابن مسعود : خصلتان ، يعنى : إحداهما سمعتها من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم والأخرى من نفسى : « من مات وهو يجعل لله نِدًّا أدخل

النار » وأنا أقول : من مات وهو لا يجعل لله نِدًّا ، ولا يشرك به شيئًا دخل الجنة . .

« أخرجه الإمام أحمد فى المسند »

٦ـ عن أبى سعيد الخُدْرِىِّ ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « من قال : رضيت بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ، وجبت له الجنة »

« رواه أبو داود »

والرضى بذلك كله هو عين العمل الموجب للجنة ، لا مجرد القول باللسان .

٧ـ عن عقبة بن عامر الجهنى قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى ركعتين ، يقبل عليهما بقلبه ووجهه ، وجبت له الجنة » .

« أخرجه النسائى »

٨ـ عن سهل بن معاذ ، عن أبيه قال : قال رسول

لله : صلى الله عليه وسلم : « من صلى صلاة الفجر ، ثم قعد يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة»

« أخرجه ابن السنى و أبو يعلى الموصلى »

٩ـ عن أبى أمامة صُدَى بن عجلان الباهلى قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من قرأ خواتيم سورة البقرة فى ليل أو نهار ، فمات من يومه أو ليلته ، فقد أوجب الله له الجنة » . وذلك بشرط العمل بما فيها ، لا بمجرد القراءة .

« أخرجه البيهقى » .

١٠ ـ وعنه قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من قال دُبر كل صلاة مكتوبة : اللهم أعط محمداً الوسيلة . اللهم اجعل فى الصديقين صحبته ، وفى العالمين درجته ، وفى المقربين ذكره ، فقد استوجب علىّ الشفاعة ووجبت له الجنة » .

« أخرجه ابن السنى »

وذلك لأن المواظبة على ذلك تورث حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحبه يورث متابعته ، والسير على منهاج سنته .

١١ ـ عن أَبى الأَسود الدُّؤَلى قال : أَتيت المدينة فوافيتها ، وقد وقع فيها مرض ، فهم يموتون موتا ذريعًا ، فجلست إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فمرت جنازة فأُثنِىَ على صاحبها خير ، فقال عمر : وَجَبَتْ ، ثمُ مُرَّ بأُخرى ، فأُثْنِى على صاحبها خير ، فقال : وجبت ، ثم مر بالثالثة ، فأُثنى على صاحبها شر . فقال : وجبت . فقال أَبو الأَسود : ما وجبت يا أَمير المؤمنين ؟! قال : قلت كما قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أَيما مسلم شهد له أَربعة بخير ، أَدخله الله الجنة » . قلنا : وثلاثة ؟ قال : « وثلاثة » : قلنا : واثنان ؟ وقال : « واثنان » ولم نسأله عن الواحد »

« أَخرجه الترمذى و أَحمد »

١٢ ـ عن أَبى هريرة قال : أَقبلنا مع رسول الله ،

صلى الله عليه وسلم ، فسمع رجلاً يقرأ : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « وجبت » فقلت له : ماذا يا رسول الله ؟ قال : « الجنة » .

« أخرجه ابن السني »

١٣ - عن حنظلة الكاتب قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من حافظ على الصلوات الخمس ، ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وعلم أنهن حق من عند الله تعالى ، وجبت له الجنة » أو قال : « حَرُم على النار » « أخرجه الطبراني فى الكبير ، والإمام أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .

١٤ - عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، أنه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : « من وافق صيامه يوم الجمعة ، وعاد مريضا وشهد جنازة ، وتصدق ، أو أعتق ، وجبت له الجنة » .

« أخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده »

١٥ ـ عن أبى أُمامة الباهلى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى الجمعة وصام يومه ، وعاد مريضًا وشهد جنازة ، وشهد نكاحًا ، وجبت له الجنة » . أقول ولا يجوز إفراد الجمعة بالصوم .

« أخرجه الطبرانى فى الأَوسط »

١٦ ـ عن أنس أن أبابكر الصديق ، دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو كئيب ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَا لِى أراك كَئِيبا » ؟ قال : يا رسول الله ، كنت عند ابن عم لى البارحة ، وهو يَكِيدُ بِنَفْسِه . قال : « فهلا لقنته لا إله إلا الله » ؟ قال : قد فعلت . قال : فقالها ؟ قال : نعم . قال : وجبت له الجنة . قال أبو بكر : يا رسول الله ، كيف هى للأَحياء ؟ قال : « هى أَهْدَمُ لِذُنُوبهم » . يكيد بنفسه : أى فى النزع الأَخير

« أخرجه أبو يعلى الموصلى »

١٧ ـ عن عقبة بن عامر ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أثكل ثلاثة من صُلْبه ،

واحتسبهم على الله فى سبيل الله ، وجبت له الجنة » . أثكل مات له .

« أخرجه الإمام أحمد والطبرانى ، ورجاله ثقات » .

١٨ — عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من سلم على عشرين رجلا من المسلمين ، فى يوم واحد جماعة أو فرادى ، ثم مات من يومه ذلك ، وجبت له الجنة » .

« أخرجه الطبرانى »

والمقصود روح السلام ، وهو الحب بين المؤمنين والترابط بينهم فى الله ، ولله .

١٩ — عن عمرو بن مالك القشيرى قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : « من ضم يتيماً من بين أبويه إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة » .

« أخرجه الإمام أحمد والطبرانى »

سعة رحمة الله تعالى

قال الله تعالى : (إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) . فالإحسان فى العمل ، وعمل الصالحات هو الذى يقرب من رحمة الله تعالى ، وليست رحمته تنال بالتمنى ، ولكن شرطها الإحسان .

١ ـ عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل لما قضى الخلق ، كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتى تغلب غضبى » وفى رواية : « سبقت غضبى » .

« أخرجه البخارى ومسلم والترمذى »

٢ ـ عن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض

مائة رحمة ، كل رحمة منها مثل طباق السموات والأرض فجعل منها فى الأرض رحمة واحدة ، فبها تعطف الوالدة على ولدها ، والوحوش والطير بعضهم على بعض ، فإذا كان يومُ القيامة أكملها الله بهذه الرحمة » . وفى بعض الطرق : « حتى يرحم الله بها عباده يوم القيامة » ، وفى رواية : « حتى أن إبليس لعنه الله ليتطاول إليها رجاءَ أن يصيب منها » .

« أخرجه مسلم . وأخرجه ابن ماجه عن أبى سعيد »

٣ ـ عن عمر قال : قَدِمَ على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم سَبْىٌ ، فإذا امرأة من السَّبْىِ تسعى ، حتى إذا وجدت صبياً من السَّبْى فألصقته بقلبها ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار » ؟ قلنا : لا والله ، وهى تقدر على ألا تطرحه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « الله أَرْحَمُ بِعِبادِهِ من هذه بولدها » .

« أخرجه البخارى ومسلم » .

٤ ـ وعن أبى موسى قال : قال رسول الله ، صلى الله

عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة ، دفع الله لكل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا فيقول : هذا فداؤك من النار » .

٥ ـ وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمتى أمة مرحومة ، ليس عليها عذاب فى الآخرة ، عذابها فى الدنيا : الفتن ، والزلازل ؛ والقتل » .

« أخرجهما أبو داود »

٦ ـ وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن شئتم أنبأْتكم بأَول ما يقول الله ، عز وجل للمؤمنين يوم القيامة ، وبأَول ما يقولون له » . قالوا : نعم يا رسول الله. قال : « إن الله تعالى يقول للمؤمنين : هل أَحببتم لقائِى ؟ فيقولون : نعم ربَّنَا . قال : وماحملكم على ذلك ؟ فيقولون : عفوك ورحمتك ورضوانك . فيقول : إنى قد أَوجبت لكم رحمتى » .

« أَخرجه الطيالسى فى مسنده وأَحمد »

٧ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول

الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل ، سيخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سِجِلاً ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا؟ أظَلَمَكَ كَتَبَتِى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : ألك عذر ؟ فيقول : لا يارب فيقول : بلى لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها : أشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده رورسوله ، فيقوله : احضر وزنك . فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول إنك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات ، وثقات البطاقة ، فلايثقل مع اسم الله عز وجل شئ » .

« أخرجه الترمذى ، وقال : حسن صحيح ،وابن ماجه »

٨ - وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « حوسب رجل ممن كان قبلكم ، فلم يوجد معه شىء من الخير ، إلا أنه يخالط الناس ، وكان موسرا

فيأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر . قال الله عزوجل أنا أَحَقُّ بذلك ، تجاوزوا عن عبدى » .

« أخرجه مسلم »

٩ـ وعن ابن عمر ، أنه قيل له : كيف سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فى النَّجْوَى ؟ قال : سمعته يقول : « يُدْنَى المؤمن يوم القيامة من ربه ، حتى يضع عليه كَنَفَه فيقرِّرَه بذنوبه ، فيقول : هل تعرف ؟ فيقول رب أَعرف . قال : فيقول : إنى سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . فيعطى صحيفة حسناته . وأَما الكفار والمنافقون ، فيُنَادَى بهم على رؤوس الخلائق : « هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ »

« أخرجه مسلم »

وهذا للمؤمن بنص الحديث . والمؤمن هو المعتقد بقلبه وحدانية الله ورسالة رسوله صلى الله عليه وسلم ، العامل بما فيها ، فتصبح سيئاته متبوعة بالتوبة والرجوع إلى الحق .

١٠ ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما أحد من المسلمين يصاب ببلاء فى جسده ، إلا أمر الله الحفظة الذين يحفظون فقال : اكتبوا لعبدى فى كل يوم وليلة من الخير ، ما كان محبوساً فى وثاق » . يعنى : فى المرض .

« أخرجه الدارمى »

١١ ـ حَدَّثَ سعد قال : سُئِلَ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أى الناس أَشَدُّ بلاءً ؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صَلَابَةٌ زيد ، وإن كان فى دينه رِقَّةٌ خُفِّفَ عنه . ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشى على الأَرضِ ماله خطيئة » .

« أخرجه الدارمى » .

١٢ ـ عن أبى ذر قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها وخالِق الناس بِخُلُقٍ حسن » .

« أخرجه الدارمى »

١٣ ــ عن أَبى هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم « من أَذهبتُ حَبِيبَتَيْهِ ، فصبر ، واحتسب ، لم أَرْضَ له بثواب دون الجنة » .

« أَخرجه الدارمى »

حبيبتيه : عينيه . احتسب : أَى : صبر لله .

١٤ ــ عن أَبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ومن قال حين يأوى إلى فراشه : أَستغفر الله الذى لا إله إلا هو غفر الله ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر ، وإن كانت مثل رمل عَالِج وأَيام الدنيا » .

« رواه الترمذى وحسنه ، ومسلم ، والنسائى »

١٥ ــ قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من تعارّ (أَى : استيقظ) من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىءٍ قدير ، وسبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أَكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : رب اغفر لى ــ أَو قال : ثم دعا ــ

استجيب له ، فإن عزم وتوضأ وصلى قبلت صلاته » .

« أخرجه البخارى ، والترمذى ، وأبو داود ، والنسائى وابن ماجه ، والدارمى » .

١٦ ـ عن سعد بن أبي وقاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجلسائه : « أَيَعْجِزُ أَحدكم أن يكسب ألف حسنة » ؟ فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : « يسبح أحدكم مائة تسبيحة ، تكتب له ألف حسنة ، وتحط عنه ألف سيئة » .

« أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح . ومسلم ، والنسائِى ، وابن حبان » .

١٧ ـ عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال يومًا لأصحابه : « قولوا سبحان الله وبحمده مائة مرة ، من قالها مرة كتبت له عشرًا ، ومن قالها عشرًا كتبت له مائة ومن قالها مائة كتبت له ألفًا ، ومن زاد زاده الله ، ومن استغفر الله غَفَرَ له » .

« أخرجه الترمذى وحسنه »

١٨ ـ عن معاذ بن جبل قال : مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا على حمار ، فقال : « يا معاذ ، هل تدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله » ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن حق الله على العباد : أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله : إذا فعلوا ذلك ألاَّ يعذبهم » .

« أخرجه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائى ، والدارمى ، والترمذى ، وابن ماجه » .

١٩ ـ عن أنس أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم قرأ ـ أو تلا ـ هذه الآية : (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ) فقال : « قال الله عز وجل : أنا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى ، فلا يُجعَل معى إله آخر فمن اتقى أن يجعل معى إلها آخر ، فأنا أهل أن أغفر له » .

« أخرجه ابن ماجه بإسناد جيد »

والمراد : البراءة من الشرك الخفى والظاهر ..

٢٠ـ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل لترفع درجته في الجنة ، فيقول أنَّى هذا ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك » .

« أخرجه ابن ماجه ورجاله ثقات »

٢١ ـ عن ابن عمر قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة على كُثبان المسك ـ أُراه قال : يوم القيامة ـ يَغْبِطُهم الأَولون والآخرون : رجل ينادى بالصلوات الخمس في كل يوم وليلة ، ورجل يؤم قومًا وهم به راضون ، وعبد أدَّى حق الله ، وحقَّ مَوَالِيه » .

« أخرجه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم ، وابن حبان »

٢٢ ـ عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يبغضهم الله ، فأَما الذين يحبهم الله : فرجل أَتَى قومًا فسأَلهم بالله ، ولم يسأَلهم لقرابة بينه وبينهم ، فمنعوه ، فتخلف رجل من أَعيانهم فأَعطاه سِرًّا ، لا يعلم بعطيَّته إلا الله والذي أَعطاه ، وقوم

ساروا ليلتهم ، حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يُعدَل به ، فوضعوا رُؤوسهم ، قام رجل يَتَمَلَّقُنى ، ويتلوا آياتى ، ورجل كان فى سَرِيَّةٍ فلقى العدو فَهُزِمُوا ، فأَقبل بصدره حتى يُقتل ، أَو يُفْتَح لَهُ ، والثلاثة الذين يبغضهم الله : الشيخ الزانى ، والفقير المختال ، والغنىُّ الظَّلُوم » .

« أَخرجه الترمذى ، وقال: صحيح ، والنسائى ، وابن حبان ، والحاكم »

٢٣ ـ عن البراءِ بن عازب ، أَن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أَمر رجلا إذا أَخذ مضجعه أَن يقول : « اللهم أَسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أَمرى إليك ، وأَلجأت ظهرى إليك ، لا ملجأَ ، ولا منجا ، إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أَنزلت ، ونبيك الذى أَرسلت ، فإن مات مات على الفطرة » .

« أَخرجه الدارمى ، والترمذى وقال : حسن صحيح »

٢٤ ـ عن أَبى هريرة أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ، ما طمع فى الجنة أَحد ،

ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، ما قَنِط من الجنة أحد».
(قنط : يئس)

« أخرجه البخارى ، ومسلم ، والترمذى »

٢٥ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « خُلُقان لا يحصيهما رجل مسلم ، إلا دخل الجنة ، ألَا وهما يَسيرٌ ، ومن يعمل بهما قليل ، يسبح الله فى دبر كل صلاة عشرًا ، ويحمده عشرًا ، ويكبره عشرًا ـ قال : فأنا رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يعقدها بيده ـ قال : فتلك خمسون ومائة باللسان ، وألف وخمسمائة فى الميزان ، وإذا أخذت مضجعك ، تسبحه ثلاثًا وثلاثين ، وتحمده ثلاثًا وثلاثين ، وتكبره أربعا وثلاثين ، فتلك مائة باللسان ، وألف فى الميزان ، فأَيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة » ؟ .

يعنى : يغفر بها ألفين وخمسمائة سيئة . « أخرجه الترمذى وقال . حسن صحيح ، وأحمد ، والبخارى فى الأدب المفرد ، وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان وصححه »

٣٦ ـ عن كعب بن عُجْرَةَ ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
: « معقبات لا يخيب قائلهن : تسبح الله فى دبر كل صلاة
ـا وثلاثين ، وتحمده ثلاثًا وثلاثين ، وتكبره ثلاثًا
ـثين » .

« أخرجه مسلم ، والنسائى ، والترمذى وقال حسن »

٣٧ ـ عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ـى لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل النار
ـوجًا منها : رجل يؤتى به يوم القيامة ، فيقال : اعرضوا
ـه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فيعرض عليه صغارها
ـال له : عملت يوم كذا كذا ؟ فيقول : نعم ، لا يستطيع
ـنكر ، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه ، فيقال
: إن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : يا رب ، قد
ـلتُ أشياء لا أراها ههنا ؟ ! قال : فلقد رأيت رسول الله ،
ـى الله عليه وسلم ، ضحك حتى بدت نَوَاجِذُه » .

« أخرجه مسلم والترمذى »

٣٨ ـ عن أبى سعيد ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم
: « إن أهل الجنة يتراءون أَهْلَ الغُرَفِ من فوقهم ، كما

تتراءون الكوكب الدرِّى الغابر (أى البعيد) فى الأُفق من المشرق والمغرب لتَفاضُل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأَنبياءِ لا يبلغها غيرهم ؟ قال: بلى والذى نفسى بيده ، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين » .

« أَخرجه البخارى ، ومسلم ، والدارمى »

٢٩ – عن أَبى سعيد ، أَن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى يقول لأَهل الجنة : يا أَهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربَّنا وسعديك ، والخيرُ فى يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى رَبَّنَا ، وقد أَعطيتنا ما لم تُعطِ أَحدًا من خلقك . فيقول : أَلا أَعطيكم أَفضل من ذلك ؟ فيقولون : ياربنا ، وأَى شىءٍ أَفضل من ذلك ؟ فيقول أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أَسخط عليكم بعده أَبدًا » .

« أَخرجه البخارى ، ومسلم ، والترمذى »

٣٠ – عن أَبى هريرة ، أَن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم أَحد يُدخله عمله الجنة ، ولا ينجيه من النار . قالوا ولا أَنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أَنا . إلا أَن يتغمَّدنى الله برحمته » . « أَخرجه البخارى ، ومسلم ، وأَحمد »

٣١ – عن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن من عباد الله لأناساً ، ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله . قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » .

« أخرجه أبو داود »

٣٢ – عن ابن عمر قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثياً ، كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود .

« أخرجه البخاري »

٣٣ – عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، سئل عن المقام المحمود ، فقال : « هو الشفاعة » .

« أخرجه الترمذي »

٣٤ – عن جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من

قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا كما وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » .

« أخرجه البخاري ، والترمذي ، وابن ماجه ، وأبو داود ، والنسائي »

٣٥ ـ عن صهيب ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله إلى خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سرّاء شكر ، فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرًا له » .

وحقيقة الشكر : الاعتراف بالمنة لله تعالى في النعمة ، واستعمال النعمة فيما يرضى المنعم . وحقيقة الصبر : السكون تحت سلطان الأقدار فيما ينزل بالعبد ، دون جزع ولا شكوى للخلق ، ولا يأس من رحمة الله .

احذر نفسك أن تحبط عملك

أَقُولُ : تبين لنا من كل ما نقلناه من السنة المطهرة : أن مبانى الإسلام الخمسة ، كل واحد منها يكفر الذنوب والخطايا ويهدمها ، وأن : (لا إله إلَّا الله) لا تبقى ذنبًا ، ولا يسبقها عمل والصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن ما اجتُنبت الكبائر ، وأن الصدقة تطفىءُ الخطيئة كما يطفى الماءُ النار ، وأن الحج المبرور يطهر صاحبه من الذنوب كيوم ولدته أُمه ، وأن الدعاء منه ما يعود برضا الله ، حتى يصيب العبد به الجنة مع قليل العمل .

وسر ذلك كله الإخلاص . يعنى إخلاص العمل لله وحده لا شريك له ، لا لشىءٍ آخر سواه ، فإذا كان العمل غير مخلص لله لا يقبل ، وبالتالى لا يؤثر أى أثر ، ولا يكفر أى ذنب ولا يوجب أى ثواب .

ونظرًا لكثرة دوران كلمة الإخلاص على الألسنة ، فقد ادعاها بعض الناس ، دون تحقيق ولا تدقيق فى معناها .

الإخلاص مقدم على النبوة والرسالة فى قوله تعالى : (وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) ، وذلك لشرف الإخلاص وفضله ، وتقدم وجوده على وجودهما ، وكونه سببًا فى الترشيح لمنصب الرسالة والنبوة .

وحقيقة الإخلاص : تصفية العمل عن ملاحظة الخلق ، وتحديد الإرادة بالعمل لله وحده دون شىء آخر سواه ، وبهذا المعنى وحده تتحقق نجاة الإنسان من سوء الذنوب وسوء الدنيا بوجه عام ، انظر إلى قوله تعالى : (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) ، فأنت ترى الإخلاص سببًا فى صرف السوء والفحشاء عن يوسف عليه السلام ، كما أنه سبب لاصطفاء المخلصين للنبوة والرسالة . وحب الله حسب درجات الإخلاص .

فالإخلاص شرط عام فى قبول جميع أنواع الطاعات ، وكل عمل خلا منه فهو إلى الهلاك أقرب ، ففى الحديث المرفوع : « إن الله لا يَقْبَلُ من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغِى به وَجْهُهُ » ولأهميةِ الإخلاص كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى : « من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس » ،

وكتب سالم بن عبد الله بن عمر ، إلى عمر بن عبد العزيز : « اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر نيته ، فمن خلصت نيته ، تم عون الله له ، ومن نقصت نيته نقص عنه من عون الله بقدر ذلك » . ولهذا فليست العبرة بكثرة الأعمال ، وكثرة الأدعية بقدر ما هى بالإخلاص فيها ، ولو كانت قليلة ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ، لمعاذ بن جبل : « أخلص العمل يُجْزك منه القليل » .

ومراتب الإخلاص ثلاث :

الأولى : إخلاص الأنبياء والمرسلين والتابعين لهم بإحسان وهو العمل لله وحده دون ملاحظة أى غرض دنيوى ولا أخروى بل لمجرد الحب لله وطاعة أمره .

والثانية : العمل لله وحده ليمنح الله العامل المخلص حظًّا أخرويًا ، مثل تكفير الذنوب ، والظفر بالجنة .

والثالثة : العمل لله وحده رغبة فى حظ دنيوى مباح ، كتوسعة الرزق ، ودفع المؤذيات .

وما سوى ذلك فهو رياءٌ مذموم ، وشرك مُحْبِط للأعمال .

والرياءُ المحرم المحبط للعمل هو : العمل لطلب حظ دنيوى ، وغلبة هذا الحظ على القلب أثناءَ العمل وبعده وقبله ، وهو على مراتب :

أولها : أن يحسن العمل فى الظاهر أمام الناس ليحظى بالثناء عند الناس ، وبالاشتهار بالصلاح والتقوى .

والثانية : وهى أقبح من الأُولى : أن ينشط فى العمل أمام الناس ، ويكسل إذا كان وحده .

والثالثة : وهى أقبح الكل : أن يجعل صورة الطاعة وسيلة لاكتساب أمر محرم ، كأن يجوِّد العمل فى الظاهر لتساق إليه الودائع ثم يأخذها لنفسه : أو تقربًا من امرأة يحبها .

والرابعة : وهى أخف الجميع : أن يُجَوِّد العمل لا لتحصيل غرض دنيوى ، وإنما خوفًا من أن ينظر الناس إليه بعين الاحتقار ، ولا يعدُّوه من الأخيار .

وكله رياءٌ ، وقليل الرياء شرك ، ولكنه درجات ، وكل عمل خالطه الرياءُ ، فلا ثواب له ، لما ورد فى الخبر : « من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىءٌ » . وأخرج ابن جرير مرسلا : « لا يقبل الله عملا فيه مثقال حبة من الرياء » . وأخرج الطيالسى فى مسنده عن شداد بن أوس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى مرائيا فقد أشرك ، ومن تصدق مرائيا فقد أشرك » . فقال عوف بن مالك لشداد :

أفلا يعمد الله إلى ما كان له من ذلك ، فيقبله ويدع ما سواه ؟ فقال شداد : سمعت رسول الله يقول : « قال الله عز وجل : أنا خير شريك أو قسيم ، من أشرك بى فعمله قليله وكثيره لشريكى وأنا منه برىء » .

فإذا عقد الإنسان نيته على العمل مخلصًا لله ، ثم طرقه الرياء أثناء العمل فلذلك حالتان :

الأولى : أن يكون العمل مما يرتبط آخره بأوله ، كالصلاة والصوم ونحوهما ، وهذا إذا صحح الإنسان نيته فى أوله ، ثم طرقه الرياء ، فلا شىء عليه إذا حاول دفع الرياء والتخلص منه قدر طاقته .

الثانية : أن يكون العمل مما تستقل أجزاؤه ، كالقراءة والأذكار ، بدأها مخلصًا ، ثم طرقه ، فلا ثواب لما بعد طروق الرياء فيه .

وإذا عمل العمل مخلصًا كما يجب عليه ، وبعد الانتهاء منه أثنى الناس عليه فلا يضره ، لحديث مسلم : « تلك عاجل بشرى المسلم » .

وقد يعمل الإنسان عملا من أعمال البر خالصًا لله ، ثم يبطله بعد زمان طويل ، وهو لا يشعر .

وذلك كالرجل يصنع الخير مع رجل آخر ، يريد به الله وحده ، ويمضى زمن طويل ، ثم يقصد الرجل الذى صنع المعروفَ ، صاحبَه الذى صنع إليه المعروف فى حاجة ، فلا يقضيها له ، فيذكر له أَو للناس أَو فى نفسه نادمًا : أَنه صنع إليه معروفًا منذ كذا وكذا سنة ، وفى هذه الحالة أَفسد نيته الماضية ، و أَحبط عمله الذى مضى صحيحًا وهو لا يشعر.

وكالعالم يريد بعلمه وجه الله ، فوجد الناس بعد زمن طويل ، لا يعدُّونه بين المجيدين من العلماءِ فغضب ، فأَفسد بغضبه نيته ، و أَبطل إخلاصه وهو لا يشعر .

وعلى هذا وجب على المؤمن أَن يراقب نفسه ، و أَن يحذر خداعها لئلا تحبط عمله ، و أَن يحافظ على نيته الصالحة قبل العمل ، و أَثناءَ العمل ، وبعد العمل إلى ما شاءَ الله من أَيام حياته .

الاستكثار من طلب الثواب

أقول : قال الله تعالى : (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ)

وذلك لأن الحسنات إذا كثرت رجحت على السيئات فى الميزان ، فضلا عن أن الحسنة فى ذاتها تمحو السيئة .

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل أبواب الحسنات متعددة وكثيرة جدًّا ، بحيث لايعجز أى إنسان عن الاستكثار منها ، القوى والضعيف ، والغنى والفقير ، والصغير والكبير والعالم والجاهل ، كل من هؤلاءِ له طرق لاتحصى للحصول على الثواب . ويمكن التنبيه إلى :

١ ــ العمل الذى يتعدى نفعه إلى الغير أفضل من العمل القاصر الذى يقتصر نفعه على فاعله وحده . وفى ذلك يقول الله تعالى : (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ ، بَيْنَ النَّاسِ) .

٢ ــ يمكن للإنسان أن يحصل على ثواب العمل مرتين ، أو يحصل على ثواب بلا عمل بدنى ولا مالى . وذلك كما يقول

الحارث بن أسد المحاسبي : بأن ينوى الإنسان قبل خروجه من بيته : ألا يجد ضعيفًا إلا أعانه ، ولا أعمى إلا أرشده إلى الطريق ، ولا مريضًا يعرفه من المسلمين إلا عاده ، ولا جنازة إلا شيعها ، ولا مُنْكَرًا إلا نهى عنه ، ولا ملهوفًا إلا أغاثه ، إلى آخر ما يمكن عمله من أعمال البر ، ينوى قبل خروجه أن يصنعه إن استطاع. فإن وجده فصنعه فله أجران : أجر النية ، وأجر العمل. وإن لم يجد ، أو وجده ولم يستطع أن يصنعه ، كأن يعجز ماليًا أو صحيًا عن العمل ، فله أجر النية .

٣ ـ الأعمال العادية التى لا غنى للإنسان عنها ، كالطعام والشراب ، واللباس ، والجماع . يمكن تحويلها إلى أعمال ذات ثواب جزيل ، ويمكن تحويلها إلى أعمال ذات إثم شنيع ، ويمكن أن تكون أعمالا مُهْدَرة ليس لها ثواب ولا عليها عقاب .

فالطعام والشراب إذا اقترن بنية القوة على العبادة ، والسعى فى المعاش ، وفى مصلحة الأُسرة . واللباس إذا اقترن بنية شرح الصدر والتحدث بنعمة الله . والجماع بنية العفة والإعفاف وهكذا بقية الأعمال ، كالجلوس مع الإخوان بنية التعاون على البر والتقوى ، كانت أعمالا ذات ثواب عظيم .

أما الطعام بنية القوة على البطش والتجبر ، واللباس بنية التكبر ، والجماع لإذلال الزوجة ، والجلوس مع الإخوان للهذر ، فكلها أعمال سوءٍ ذات إثم عظيم .

فإن لم تقترن تلك الأَعمال بنية مطلقًا فهى هدر ، لا لها ولا عليها .

٤ ــ إفشاءُ السلام مشروع لتأْصيل الحب بين المسلمين ، ولطلب الثواب عليه من الله ، وقد يدخل الشيطان على المسلم بخدعة ليبطل ثواب إفشاءِ السلام ، فيلقى فى روع الإنسان : إنك لو لم تسلم على فلان لغضب منك ، فيسلم عليه لئلا يغضب منه ، وحينئذ يفقد المسلم نية طلب الثواب ، ولا ثواب له على إفشاءِ السلام ، فالأَصل هو : طلب ثواب الله على السلام .

٥ ــ المراد بجميع الأَذكار : التحقق بها عملا ، لا مجرد الذكر باللسان .

وفقنا الله جميعًا إلى مراضيه ، وجنبنا مكارهه ، إنه سميع مجيب .

* * *

فهرس الكتاب

